Suicidal Cat
Copyright © 2006 Ali Darwish. All Rights Reserved.

انتحـــار هـــرة

بقلم علي درويش
١٧ أبريل /نيسان ٢٠٠٦

دخلتْ منزلنا من بابه المفتوح ذات مساء، هرة صغيرة بيضاء سوداء، فرآها أخي الصغير، وكان عمره آنذاك عامين. فأحبها حبًا شديداً وأولع بها، فرأت أمي أن تحتفظ بها، فصارت الهرة فردًا من أفراد العائلة.

ذات مساء لطيف في آخر أيام الصيف، كانت جارتنا الفلسطينية أم محمد في زيارة أمي، وكانتا تلعبان لعبة البرجيس في أرض غرفة الجلوس. وكنا نسكن في شقة في الطابق الثاني. كانت الهرة تمشي بين قضبان درابزين الشرفة المطلة على مدخل البناية في آخر الحي. فكانت تدخل وتخرج بين القضبان كأنها بهلوان أو تعلمت ذلك على أيدي مدربين في سيرك في حياة أخرى.

كانت أمي وجارتها تحبان لعبة البرجيس، وعندما كان يشتد الوطيس كانتا تتحمسان "لقتل" حجر، أو إصابة نرد. ذاك المساء، كان السكون مخيماً على الأجواء. وفجأة صرخت أم محمد بصوت رعدي، وكانت مشهورة بذلك: **بـــــــــارة!** فنقزت الهرة من الصوت المدوي فاختل توازنها وسقطت هاوية إلى الشارع.

مسكينة تلك الهرة، لم تسعفها مهاراتها البهلوانية ولا مرونتها الفطرية فارتطمت بالأرض وصرخت ثم قامت فجأة وهربت إلى أسفل سيارة ابن الجيران الواقفة في الجهة المقابلة. فركضت وأخي لنرى أية مصيبة حلت بتلك البائسة فوجدناها ملفوفة تئن من الألم. ثم راحت تتقيأ تقيؤًا شديدًا ثم سكنت. ولكنها ظلت تتألم وتتلوى.

حملناها إلى الشقة فجاءت أمي وفحصتها ونظفتها، وأعطتها جرعة صغيرة جداً من الأسبرين المذاب، فهدأت الهرة المسكينة وارتاحت قليلاً. وكان أخي الصغير يراقب بكل حزن وهلع فطمأنته أمي بأن الهرة ستكون بخير في الصباح. وتركنا الهرة تنام في محدة مريحة في شرفة المطبخ. ورحنا ننام.

لا ندري من ترك الصحن الصغير وفيه الأسبرين المذاب. ولكننا في الصباح الباكر أفقنا على بكاء أخي الصغير وهو يقول: "ماتت البيسة"! فهرعنا إلى الشرفة فوجدنا الهرة المسكينة جامدةً يابسةً بلا حراك وصحنَ الأسبرين فارغًا.

لقد ماتت تلك الهرة المسكينة من الألم. أو لعلها سُممت. أرادت أن تشرب في الليل لتشفي لظى الحمى التي كانت تعتريها فشربت جرعة مفرطة من الأسبرين. أو ربما انتحرت عندما أدركت أنها لن تتماثل للشفاء.

حملتها ووضعتها في دلو فارغ ومشيت بها إلى آخر شارع الحي، وأخي الصغير يركض خلفي باكيًا: "أين ذهبت البيسة؟ عودي يا بيسة"، حتى وصلنا إلى مكب النفايات على كتف مدخل الحي في مدينتنا المتحضرة، فرميتها في القمامة، وعدت وأخي ما يزال يبكي ويندب تلك الهرة التي قضت ضحية البرجيس وعبث الآخرين.

النهاية

علي درويش
١٧ أبريل /نيسان ٢٠٠٦